أصول العقيدة الإسلامية في خطبة الزهراء (عليها السلام)

-قراءة تحليلية موجزة-

عماد الكاظمي

منشورات معالم الفكر

الكتاب: أصول العقيدة الإسلامية في خطبة الزهراء (عليها السلام)
–قراءة تحليلية موجزة–
المؤلف: عماد الكاظمي
الناشر : معالم الفكر / بيروت – حارة حريك
مجاور مسجد الحسنين
العراق – الكاظمية المقدسة
الطبعة: الأولى
تأريخ الطبع : ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٦) لسنة ٢٠١٢م

الإهداء:

– إلى مَنْ قال فيها النبيُّ الأعظم: فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي ..

– إلى مَنْ قال فيها النبيُّ الأكرم: فاطمةُ روحي التي بينَ جَنْبَيّ ..

– إلى مَنْ آزرتِ النبيَّ وجاهدتْ بكُلِّ ما تملكُ من أجلِ الرسالةِ الإسلامية..

– إلى الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ فاطمَةِ الزَّهْراء التي وَرِثَتْ مِنْ أبيها مَعاني الجِهادِ في سَبيلِ الله تعالى .. لِتَبْقى هذه الصَّفَحاتُ خالِدَةً بِتِلْكَ المَواقِفِ .. عسى نَيْلَ رِضاهُمْ ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ... والصلاة على النبي الأمين ..وعلى آله الكرام الطاهرين ..

إنَّ الحديث عن خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يعني الحديث عن معانٍ عظيمة لكلام امرأة تمثل سيدة نساء العالمين بنص الشريعة المقدسة، حيث تبلورت هذه الشخصية في بيت الوحي الإلهي.. بيت النبوة والإمامة .. بل في بيوت أذن الله أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه، كُلُّ ذلك يؤكد علينا الاهتمام بفقرات ومفردات هذه الخطبة الخالدة لها (عليها السلام) .. والتزاماً واعتقاداً بأنَّ في أقوالها وسيرتها تكمن صورة من صور التكامل الإنساني والإيماني نحاول أنْ نقرأ قراءة تحليلية لبعض نصوص هذه الخطبة العظيمة وبيان علاقتها بالقرآن الكريم، أي الالتزام بالمنهج الذي يجمع بين القرآن والعترة والذي يمكننا أنْ نطلق عليه (منهج الثقلين) استمداداً من حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنِّي تاركٌ فيكم ما إِنْ تمسكتُمْ به لن تضلّوا كتابَ اللهِ وعترتي، فلا تَقْدموهُمْ فَتَهْلَكوا، ولا تُقَصِّروا عَنهم

فَتَهْلَكوا، ولا تُعَلِّموهُمْ فإنَّهُمْ أعلمُ منكم)). [١] إذ إنَّ هذا المنهج هو الذي يوصل الإنسان إلى المعاني العظيمة التي تحتاجها الأمة اليوم في فهمها للشريعة المقدسة فهماً حقيقياً جديداً ..

ونحاول في هذا البحث [٢] أنْ تدور القراءة حول أصول العقيدة الإسلامية في الشريعة المقدسة من خلال منهج الثقلين حيث سيتناول البحث بعد مقدمة وتمهيد تلك الأصول العقائدية التي تضمنتها خطبة الزهراء (عليها السلام) ثم خاتمة.

نسأله تعالى أنْ يوفقنا في هذه القراءة التي ندعو إليها الباحثين، القائمة على تحليل تراث وأقوال أهل البيت (عليهم السلام) ودراستها دراسة منهجية لبيان آثار تلك الكلمات العظيمة دون الجمود على السرد الروائي والتأريخي لها، لأنَّ هذه الدراسة التحليلية هي التي يجب الاهتمام بها في الوقت الحاضر أكثر من قبل لإثبات وبيان حقيقة ذلك التراث التي تنطوي عليه المفاهيم الإنسانية والحقوق الخاصة والعامة التي تحفظ للإنسان كرامته ومنزلته مهما كان انتماؤه واعتقاده وما يؤمن

---

(١) المراجعات، عبد الحسين شرف الدين العاملي ص ٢٦ عن الطبراني

(٢) هذه الصفحات هي لبحث تمت المشاركة فيه في المسابقة عن الصديقة الزهراء (عليها السلام) التي نظمتها الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف سنة ٢٠١١م.

به.. وليست هذه الدعوة أو هذا الاتجاه في تحليل النصوص التأريخية دعوة لهجران التأريخ الإسلامي وسيرة الأئمة (عليهم السلام) كما – لعله– يفهمه بعض، بل إنَّ لكُلٍّ اتجاهه الخاص به، فالسيرة يمكن لأي شخص أنْ يقرأها ويطلع عليها بدون إعمالِ فكرٍ وعقلٍ، لكن القراءة التحليلية لنصوص التراث والسيرة تحتاج من المفكرين والكتاب والباحثين بذل الجهود لهذه القراءات التحليلية الدقيقة لنصوصها ..

تمهيد:

لا يخفى أنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد تبلور نظامها المتكامل من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، حيث لم يرحل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هذه الدنيا إلا بعد أنْ أكمل الله تعالى دينه الخاتم للأديان على يديه حيث قال تعالى مشيراً لذلك بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [1]، فأكمل النبي الدين بأصوله وفروعه وما يتعلق بهما، وحافظ على ذلك من بعده أهل بيته على ذلك المنهج مهما كان ثمن تلك المحافظة، حيث انحرف عدد من المسلمين عنه، وكانت أولى تلك الانحرافات هو التعدي على منصب الخلافة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإبعاد أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ذلك، ومحاولة تجريد أهل البيت من حقوقهم الخاصة فكان ذلك بغصب فدك من فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ لذلك كان للزهراء موقف كبيرٌ وعظيم مع أولئك في الدفاع عن الحقوق العامة للمسلمين والدفاع عن الشريعة المقدسة؛ لئلا يصل الانحراف بالأمة إلى ضياعها، فضلاً عن المطالبة الخاصة بحقها في فدك، فكان ذلك في خطبتها العظيمة التي نقلتها كتب

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣

الروايات إلينا، وسوف نحاول قراءة جانبٍ واحدٍ يتعلق بأصول العقيدة الإسلامية المقدسة دون الجاني الآخر الذي يتعلق بخصوص فدك وسوف يكون ذلك من خطبتها التي خاطبت بها أبا بكر وكذلك خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار؛ لنكون على بينةٍ في كيفية استثمار أيٍّ مناسبة للدفاع عن الشريعة المقدسة، وهذا في الواقع ما كان عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وما يجب أنْ يكون شيعتهم ومحبيهم عليه أيضاً ..

إذاً فالنصوص التي سوف نستشهد بها في بحثنا ستكون من خلال هاتين الخطبتين العظيمتين التي وردتا في كتاب (أعلام الهداية) نقلاً عن الاحتجاج للشيخ الطبرسي ..

الأصول العقائدية في خطبة الزهراء (عليها السلام)

إنَّ الباحث عند دراسته لهذه الخطبة الشريفة لسيدة النساء (عليها السلام) يرى بوضوح أنَّ من الفقرات المهمة التي تضمنتها خطبتها هو التأكيد على مسائل عقائدية لها علاقة بالشريعة المقدسة، ويجب على الإنسان المسلم الإيمان واليقين بها؛ لأنها تمثل جوهر الدعوة الإسلامية العظيمة القائمة على التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، فلو تأملنا في هذه الكلمات لرأينا أنَّ الزهراء (عليها السلام) لم تغادر هذا الجوهر لمعتقد المسلمين بل أشارات إليه في موارد إجمالاً، وأكدت عليه في موارد أخرى تفصيلاً، وذكر تلك الموارد –إجمالاً– لبيان أهميتها، وأهمية قراءة كلام أهل البيت (عليهم السلام) قراءة تحليلية ودقيقة.

– أولاً : التوحيد.

التوحيد هو جوهر وأصل دعوة الأنبياء ولمرسلين الذين بُعثوا للبشرية على مدى تأريخها، والقرآن الكريم قد أكد ذلك بصورة كبيرة جداً، فلا تخلو سورة من بيان ما يتعلق بهذا الأمر وأهميته وغايته، وقد عبَّر عزوجل عنه بـ(الكلمة السواء) فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ .[١]

قالت (عليها السلام) في بيان ما يتعلق بتوحيد الله تعالى وآلائه على خلقه: ((الحمدُ لله على ما أنعم ... وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك لَه، كلمة جَعَلَ الإخلاصَ تأويلهاَ، وضَمَّنَ القلوبَ مَوْصولَها، وأنارَ في التفكُّرِ معقولَها، الممتنعُ من الأبصار رؤيَتُه، ومن الألسُنِ صفَتُه، ومن الأوْهامِ كيفيّتُهُ، ابتدعَ الأشياءَ لا من شيء كان قَبْلها، وأنشأها بلا احتذاءِ أمْثِلَة امتَثَلها، كَوَّنها بقدرته، وذَرَأَها بمشِيَّتِهِ، من غيرِ حاجةٍ منه إلى تكوينها، ولا فائدةٍ له في تصويرِها، إلاّ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبُّداً لبريَّته، وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذِيادةً لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنَّته)).[٢]

فهذه الكلمات تبيِّن بوضوح المسائل المهمة الدقيقة التي تتعلق بتوحيد الله تعالى، سواء توحيد الذات أم الصفات أم العبادة، وقد

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤

(٢) أعلام الهداية، فاطمة الزهراء (عليها السلام) ص١٥٠

أشارت إلى ذلك المؤلفات في العقيدة الإسلامية بالإيجاز والتفصيل، وممن أجاد وأحسن في عقيدتنا في التوحيد إجمالاً العلامة الشيخ "محمد رضا المظفر" (قده) (ت١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) إذ يقول: ((ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنه واحد في ذاته ووجوب وجوده، كذلك يجب ثانياً توحيده في الصفات وذلك بالاعتقاد بأنَّ صفاته عين ذاته، وكذلك يجب ثالثاً توحيده في العبادة، فلا تجوز عبادة غيره بوجهٍ من الوجوه، وكذا إشراكه في أيِّ نوع من أنواع العبادة واجبة أو غير واجبة)). [١]

وكذلك أشارت (عليها السلام) فيما يتعلق بآياته العظيمة التي تدل على عظمة الخالق في خلقه، إضافة إلى تنزيهه سبحانه الله وتعالى عمَّا لايليق به، ونحن في هذا المبحث لسنا بصدد شرح ألفاظ الخطبة الشريفة، بل بيان وذكر الملامح التي أشارت إليها في مجال العقيدة الإسلامية، فابتدأت تلك الخطبة بالحمد والثناء على الله تعالى لأنه أصل كُلِّ ثناء دون سواه من الخلق كونه المنعم الأول على مخلوقاته كلِّها بنعمٍ لا تعد ولا تحصى، وبالتالي لا يمكن للعبد أنْ يقدم حقيقة شكرها، وفي هذا إشارة لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ

(١) عقائد الامامية ص ٥٠ باب (عقديتنا في التوحيد)

﴿لاتُحْصُوهَا﴾ [١]، فلو تأملنا في قولها (عليها السلام): ((جَمَّ عن الإحصاءِ عَدَدُها، ونأى عنِ الجزاءِ أَمَدُها، وتفاوتَ عن الإدراكِ أَمَدُها)). لرأينا الدقة في التحميد والثناء على الله تعالى حيث ما أبلغها وأرقَّها من أَلفاظٍ، وأعظمها من معانٍ، تدل على الكمال واليقين، وهذه –حقيقة– هي التربية الإسلامية التي يجب أن يكون عليها الإنسان تجاه خالقه تعالى والمنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وقد قام الأئمة (عليهم السلام) بتربية المسلمين على ذلك حرصاً منهم في الحفاظ على العقيدة وجوهرها من الانحراف والضياع إضافة للتأكيد على ذلك، فإنَّ في ما تقدم من الإشارة إلى نعم الله على عباده تأكيد على أنَّ كُلَّ ذلك يستوجب علينا الشكر له وإنْ لم نبلغ حقيقة ذلك مهما تقرَّب العبد إلى ربه، بل من أجل الحفاظ على تلك النعمة العظيمة واستزادتها وفي هذا تفسير لدعوة القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٣] وفي ذلك درس من دروس التربية القائمة على المنهج التكاملي للقرآن، فضلاً عن قاعدة الإحسان

---

(١) سورة النحل: الآية ١٨

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٠

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٧

العقلية التي هي من أسس الفطرة الإنسانية والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ﴾ .[١]

ثم أشارت الزهراء (عليها السلام) وهي في صدد هذا الأصل من أصول العقيدة إلى تنزيهه تعالى عما لا يليق به، وعن كُلِّ ما قد يتصوره بعض المسلمين بأنْ يجعل لله تعالى سبحانه من صفات لا تليق بساحته، ومنها امتناع رؤيته تعالى رؤية مادية كما نرى الأشياء والأعراض وبيان مواصفاته من حيث الجسم والمادة وما يتعلق بهما، وهذه كلها من أمهات مسائل التوحيد التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية المقدسة من خلال القرآن والسنة الشريفة [٢] فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٣] ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .[٤]

في الختام نذكر إنَّ جوهر هذه الكلمات التي وردت في توحيد الله تعالى لها قرين وانطلاقة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلو أردنا

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠

(٢) للتفصيل ينظر المباحث العقائدية في المؤلفات المفصلة والموجزة مثل شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي؛ منهاج اليقين للعلامة الحلي ؛ أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ؛ عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر.

(٣) سورة الشورى: آية ١١

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٣

أنْ نستقصي الآيات القرآنية التي لها علاقة وثيقة بما تقدم من كلماتها (عليها السلام) لاحتاج ذلك إلى مجلد كبير إنْ لم يكن مجلدات، فضلاً عن الأحاديث الشريفة التي وردت، ولكن نكتفي بما ذكره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ذلك إذ يقول: ((أَوَّلُ الدينِ معرفتُهُ، وكمالُ معرفتِهِ التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الصفاتِ عنه، لشهادةِ كُلِّ صفةٍ أنها غيرُ الموصوفِ، وشهادةُ كُلِّ موصوفٍ أنهُ غيرُ الصفةِ ...)). [1]

بل كان من كلماتها العظيمة حول الغاية من التوحيد والإيمان به هو طهارة النفس والروح من دنس الشرك وآثامه إذ قالت: ((فجعلَ اللهُ الإيمانَ تطهيراً لكم من الشرك)).

إنَّ التوحيد فضلاً عن كونه أصل من أصول العقيدة التي لا يمكن الغفلة عنها فقد تضمنت كلمات أهل البيت (عليه السلام) أنَّ التوحيد هو أول حقوق الله تعالى على عباده التي يجب علينا مراعاتها حق رعايتها، ورد في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة ١/٧ حيث تتضمن هذه الخطبة العصماء أعظم مطالب التوحيد.

قوله: ((فأما حقُّ اللهِ الأكبرُ فإنَّكَ تعبدُهُ لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلتَ ذلكَ بإخلاصٍ جعلَ لك على نفسه أنْ يكفيكَ أمرَ الدنيا والآخرة، ويحفظَ لكَ ما تحبُّ منها)). [١]

– ثانياً: العدل.

إنَّ مسألة العدل الإلهي هي من أصول العقيدة الإسلامية التي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال الثقلين العظيمين (القرآن والعترة) ولا يخفى ذلك على أحد من المسلمين، وقد أكد علماؤنا ذلك في مؤلفاتهم، قال الشيخ "المظفر": ((عقيدتنا في العدل أنَّ الله تعالى عادل غير ظالم، فلا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أنْ يجازي العاصين، ولا يكلف عباده ما لايطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون)). [٢]

وفي هذه الخطبة الشريفة أشارت السيدة الزهراء (عليها السلام) لما يتعلق بالعدل الإلهي وما يجب على الإنسان من الاعتقاد به وقد كانت تريد بهذه الكلمات التي وردت تجاه القوم الذين غصبوا

---

(١) الإمام السجاد (عليه السلام)، رسالة الحقوق ص٢٨٣

(٢) عقائد الإمامية ص ٥٥ (عقيدتنا بالعدل)

حقها أنْ تذكِّرهم بذلك الخالق العادل الذي لا يحيف ولا يجور في حكمه أبداً، حيث قالت وهي تخاطب أبا بكر بعد أنْ ذكرت له أدلة دامغة على حقها في فدك ومطالبتها إياه بردِّها: ((فَدونَكَها مخْطومَةً مرحولةً تَلقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْم الحَكَمُ اللهُ، والزَعيمُ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله)، والمَوْعِدُ القِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعةِ يَخْسَرُ المُبْطِلونَ، ولا ينفَعُكُم إذ تَنْدمونَ، ولِكُلِّ نَبأ مُسْتَقرٌّ، وَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَن يَأتيهِ عذابٌ يُخزيه، وَيَحِلُّ عليه عَذابٌ مُقيمٌ)). [١] وهذه من أعظم الكلمات التي تحذر من عدل الله تعالى في ذلك الموقف يوم القيامة حيث لا ينفع الإنسان شيء سوى ما قدم لنفسه من الصالحات، وفي ذلك إشارة لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [٢]، بل إنَّ ذلك اليوم هو يوم العدل الإلهي الأكبر الذي يؤخذ فيه لكُلِّ مظلوم من الظالم حقه مهما بلغ حيث قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

---

(١) ص١٥٥

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ .[1]

إنَّ الكلمات التي أوردتها الزهراء (عليها السلام) لظالميها فيها من الوعيد ما يُذهل عقل اللبيب إنْ أراد أنْ يتفكر في عواقب أمره حيث غضب الله تعالى وسخطه مقابل حطام دنيا زائلة، فينبغي لمن أراد نجاة أنْ يتأمل هذه الكلمات ليكون على بينة تامة من كُلِّ تصرف يقوم به تجاه الآخرين حيث يوم القيامة يكون الحاكم هو الشاهد، ذلك يوم لاينفع ندم فيه ولا اعتذار، لذا وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تحذر الإنسان من ذلك اليوم حيث العدالة التامة التي لا ظلم فيها مطلقاً .. بل إنَّ من أعظم مفاهيم العدل كونه صورة من صور البناء النفسي والاجتماعي الذي تقوم على أساسه التعاملات في المجتمع فتحفظ فيه الحقوق، وتؤلف فيه القلوب، لذلك كان من كلماتها (عليها السلام) في إشارة لهذا المعنى: ((وجعل العدل تنسيقاً للقلوب))، فإذا كانت هذه ثمار العدالة بين الناس فكيف إذاً بعدل الله تعالى.

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٤٢-٤٣

– ثالثاً: النبوة.

إنَّ الزهراء (عليها السلام) في خطبتها الشريفة قد أكدت أشد التأكيد على هذا الأصل من أصول العقيدة الإسلامية؛ لما له من علاقة وثيقة بما تقدم وما أتت تطالب به من حقها، حيث أرادت أنْ تذكِّرهم بنعمة الله تعالى عليهم من بعث الأنبياء (عليهم السلام) ودورهم في إنقاذ العباد من الشرك والضلال بفضل دعوتهم وجهودهم وجهادهم ضد الطغاة والظالمين، وخصوصاً ما كان يتعلق بنبوة خاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) لعهده القريب منهم، وآثار دعوته ما زالت قائمة فيهم، ومقام أهل بيته الذين أوصى بهم، فكانت كلماتها (عليها السلام) صرخة مدوية في القلوب والعقول؛ لنتفكر بهذا الأصل العقائدي الذي يجب علينا أنْ نؤمن به مطلقاً سواء مع وجود الشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أم بعد فقده؛ لأنه أسس للأمة نظامها التشريعي، فلو تأملنا في كلماتها العظيمة التي تضمنتها خطبتها حول النبوة لرأينا صدق جهادها عن العقيدة الإسلامية المقدسة، فهي لم تتحدث بتلك الكلمات لأنَّ النبي أبوها، بل لأنَّ النبي هو رسول الله إلى العباد، وإنَّ النبوة هي أصل من أصول العقيدة، ويجب على المسلمين

أنْ يصونوا هذه العقيدة من كُلِّ انحراف أو زيغ، وهذه هي أسس دعوتها لهؤلاء القوم.

قالت (عليها السلام): ((وأشهدُ أنَّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أنْ أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبِستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمِه، فرأى الأمم فِرَقاً في أديانها، عُكَّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عِرفانِها)). [1]

إنَّ في هذه الكلمات تؤكد (عليها السلام) على النبوة وما يتعلق بها من العقيدة، وهذا هو اعتقادنا بالنبوة حيث أكدت المؤلفات في العقيدة الإسلامية ذلك، يقول العلامة "المظفر": ((نعتقد أنَّ النبوة وظيفة إلهية، وسفارة ربّانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيَّتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات،

---

(١) أعلام الهداية ص١٥٠

وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير؛ لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة)).[١]

فهذه هي عقيدة المسلمين بالنبوة عامة، وأما في النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو: ((نعتقد أنَّ صاحب هذه الرسالة الإسلامية هو محمد بن عبد الله، وهو خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأفضلهم على الإطلاق، كما أنه سيد البشر جميعاً، لا يوازيه فاضل في فضل، ولا يدانيه أحد في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبهه شخص في خلق، وأنه لعلى خلق عظيم، ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة)).[٢]

فهذه هي العقيدة في النبوة وقد أكدت على ذلك الصديقة الطاهرة في كلامها من حيث أهمية النبوة وعظمتها في البعثة للناس، والوظائف التي يقوم بها، و أهمها تعليم الناس طرق الهداية والصلاح، ودعوتهم إلى طاعة الله تعالى، ونشر المبادىء الإلهية بينهم، وفي ذلك إشارة لما ورد في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

---

(١) عقائد الإمامية ص٦٥

(٢) المصدر نفسه ص٧٧

الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [٢]

فالزهراء (عليها السلام) تؤكد ملامح وجوده وبركاته في الأمة بعد إسلامها، وذكرت بعض الصفات التي كانت الأمة عليها قبل بعثته (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم، ومنها تفرق الأمة في أديانها ومعتقداتها، وإنكارها لعظمة الخالق ووحدانيته جحوداً، وابتعادها عن عبادة الله تعالى إلى عبادة سواه من الأوثان والأجرام والأحجار وغيرها، فضلاً عن الضياع والانحراف عن طرق الهداية والصلاح، والسير في الغواية والعماية، والذل والهوان الذي كان الناس عليه .. فذكرت بعض أحوال الأمة قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم والتي منها:

١ – تفرُّقُ الأمة في أديانها وعقائدها وعباداتها وإنكارهم لعظمة الخالق ووحدانيته ..

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨

٢– الضياعُ والانحرافُ عن طرق الهداية والصلاح والسير في الغواية والعمى..

٣– الذلُّ والهوانُ الذي كان الناس عليه من القتل والتشريد والعبودية للآخرين ..

فهذا مجمل أوضاع الأمة قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل هو حال كُلِّ أمة قبل إرسال الرسل إليهم.

ثم استعرضت (عليها السلام) بعد ذلك آثار النبوة في الأمة بعد أنْ كانت تلك أحوالها وصفاتها، فقالت: ((فأَنارَ اللهُ بأبي محمّد (صلى الله عليه وآله) ظُلَمَها، وكَشَفَ عن القلوب بُهَمَها، وجَلى عن الأبصارِ غُمَمَها، وقام في النّاس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبَصّرَهُم من العَماية، وهَداهُم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم)).[1] فكانت من أهم أدواره التي قام بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد بعثته:

١– أخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن كُلِّ أنواع وصور الظلمات إلى نور التوحيد والعبودية لله، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ

---

(١) أعلام الهداية ص١٥٠

الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ [١]، بل شبه الله دعوته وقرآنه بالنور الذي فيه الهداية والصلاح فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [٢]

٢- أزالَ عن القلوب وساوس ومعتقدات الباطل والشك والكفر والإلحاد، فصارت تلك القلوب محطاً لأنوار الله تعالى والحكمة، والعلم والمعرفة بالقرآن الكريم ومعارفه وآياته وأنواره.

٣- بَيَّنَ لهم الصراط السوي الذي يُوصِل إلى طاعة الله تعالى ورضاه، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ونبذ كُلِّ معبود سواه، وإنَّ هذا لا يكون إلا باتِّباع الصراط المستقيم، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [٣]

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٣

٤ – كشفَ عن الأبصار العمى والغشاوة التي حصلت إليهم بسبب الشرك والإلحاد والبُعد عن الله تعالى، فصاروا ينظرون ويتفكرون في آياته وآلائه التي تدل بدقة على عظمة الخالق في خلقه ووحدانيته، وقد أشار تعالى إلى ذلك في عدد كبير من آياته المباركة، حيث قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [١]، بل دعاهم القرآن لإزالة تلك الحجب التي أعمت بصرهم وبصيرتهم من خلال التفكر في المحيط الذي يعيشون فيه آناء الليل وأطراف النهار فقال تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾. [٢]

إنَّ الزهراء (عليها السلام) من خلال ذكرها لهذه المعاني في كلماتها عن النبوة تريد أنْ تؤكد على أمور مهمة عدة؛ لئلا تعود إلى الناس جاهليتها بعد وفاة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن أهم ذلك:

١ – إنَّ النبوة أصل من أصول العقيدة الإسلامية المقدسة، وعلى المسلمين الالتزام بها وصيانتها، لئلا تنصدع أركان الرسالة الإسلامية.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣

(٢) سورة الغاشية: الآيات ١٧ – ٢٠

٢– إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أدى رسالته بكُلِّ ما أوتي من قوة، فضحى بكُلِّ شيء من أجل هذا الهدف المقدس ورفع هذه الأمة فوق الأمم، ويجب على الأمة أنْ تحافظ على هذا المجد الإلهي بالحفاظ على الشريعة، دون أنْ تتلاعب فيها الأهواء والأغراض والمصالح الدنيوية والتكالب على لذاتها وشهواتها.

٣– إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلَّغ رسالة الله تعالى إلى أمته بوجوب مودة أهل بيته الذين هم أمان لأهل الأرض من الغرق والضياع، كما ورد ذلك في الآيات والأحاديث ويجب عليكم أنْ تحافظوا على هذه الأمانة، لا أنْ تُقهر وتُظلم وتُقتل بين أيديكم بمرأىً ومسمع منكم، فيحل عليكم غضب من الله.

٤– أرادت أنْ تؤكد بأنَّ أهل بيت النبي (عليهم السلام) المتمثل اليوم بابنته وبعلها هم أَوْلى الناس بالدفاع عن الشريعة المقدسة، ولم يتزعزعوا عن ذلك أبداً مهما كان ثمن ذلك، لذلك أشارت أكثر من مرة عند ذكرها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظ (أبي) وبالتالي فهي كذلك تريد أنْ تذكِّرهم بأنها قطعة من خاتم النبيين والمرسلين، بل هي أُمُّهُ كما كان يذكر ذلك ويكرر قوله لها (أُمُّ أبيها).

٥- حذرت الأمة من مخالفتها لعهودها ومواثيقها مع نبيها ورسوله ولا يختلف ذلك بوجوده حياً بينهم أو بعد موته، حيث إنَّ حياته بشريعته الحية إلى يوم القيامة، فهو موجود وقائم بها.

فهذه أهم الموارد التي أردنا أنْ نسلط الضوء عليها في حديثها (عليها السلام) حول النبوة، فلقد كان لمسألة التعرض للنبوة أثر واضح وكبير في خطبتها، لما له من اهتمام من قبل الله تعالى وأثر في صيانة المجتمع من الزيغ والانحراف في العقيدة الإسلامية المقدسة.

- رابعاً: الإمامة.

إنَّ الإمامة من أصول العقيدة الإسلامية المقدسة التي أُكِّد عليها في القرآن والسنة الشريفة وقد ذكرت مؤلفات الأعلام ذلك مفصلاً في موارده حيث وجوب تعيين الإمام بعد النبي، وأنَّ الحاجة إليها هي نفس الحاجة في النبوة فضلاً عن صفات الإمام التي يجب أنْ يكون عليها كالنبوة ومن أهمها العصمة، قال العلامة "المظفر" في ذلك: ((نعتقد إنَّ الأمانة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة، وإنها كالنبوة لطفاً من الله تعالى فلا بد أنْ يكون في كُلِّ عصر أمام هاد يخلف النبي في وظائفه

من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين فهي استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول)). [١]

والزهراء (عليها السلام) قد أكدت على هذا الأصل من خلال كلماتها التي أشارت فيها إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومكانته ودوره في الإسلام بما لا يخفى على أحد من المسلمين وغيرهم، فكان من جملة كلامها (عليها السلام) في ذلك: ((فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله)، بعد اللتيا والّتي، وبعد أنْ مُنِي بِبُهْم الرجال، وذؤبانِ العَرَب، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أَطفأها الله، أو نَجَمَ قَرْنُ الشيطان، أو فَغَرَتْ فاغِرةٌ من المشركين قَذَفَ أخاهُ في لَهواتِها، فلا يَنكَفِئ حَتّى يَطأَ جَناحَها بأَخْمصِه، ويُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِه، مَكدوداً في ذاتِ الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياءِ الله، مشمِّراً ناصحاً، مُجِدّاً كادِحاً، لا تأخُذهُ في الله لومةُ لائمٍ)). [٢]

---

(١) عقائد الإمامية ص٨٥

(٢) أعلام الهداية ص١٥٢

فهذه بعض صفاتِ عليٍّ (عليه السلام) بلسانِ سيدة نساء العالمين، التي كان عليها في حقيقته ودفاعه عن الشريعة المقدسة، فلقد ذكرت (عليها السلام) منزلته ومكانته مذكرةً إياهم بما قاموا من فعلٍ عندما تآمروا عليه وغصبوا خلافة الله تعالى من أهلها الذين هم أهل الله وخاصته الذين لم ينحرفوا عن طاعته وطاعة رسوله قيد أنملة يوماً بعدما كان غيره غارقاً بالكفر والعناد، فمن أهم ما أشارت إليه في حق سيد الوصيين أنه:

١ – أعظمُ المجاهدين ضد الكفار والمشركين من أجل الإسلام والعقيدة الإلهية، فما أعظمه من وصفٍ (فلا ينكفيء حتى يطأ جناحها بأخمصه).

٢ – ذوبانَهُ في حب الله وطاعته مهما كان ثمن ذلك الحب والطاعة.

٣– مكانته العظيمة عند خاتم النبيين والمرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) والأحاديث الكثيرة تشهد على ذلك.

٤ – إنه من سادة أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٥– وضوحُ الحق في كُلِّ أقواله وأفعاله حتى كان يسري فيه كما يسري الدم في عروقه، قلم تكن له غاية سوى إقامة الحق وأخذه لأهله.

فهذه بعض صفات أمير المؤمنين (عليه السلام) التي لا ينكرها أحد إلا مكابرٌ أو معاندٌ؛ لذلك نرى إنَّ في خطبة الزهراء (عليها السلام) هذه وخطبتها الأخرى التي خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار كانت ثائرة بكُلِّ قواها في الدفاع عن الإمامة ومقامها، وهي بالتالي تدافع عن العقيدة الإسلامية ضد أولئك الذين يريدون أنْ يحرفوا مسار الشريعة المقدسة، فكانت كلماتها كأنها جيش من جيوش الله تعالى في ساحة حرب وقتال، يتلاقف الأعداء من كُلِّ حدبٍ وصوب من أجل إقامة الحق وإماتة الباطل، ولكن القوم في سكرةٍ من ذلك [1]، حيث يرى الباحث هذه الحقيقة من خلال تلك الألفاظ التي انطوت على تلك

---

(١) إنَّ لابن أبي الحديد المعتزلي مقالة لطيفة في هذا حيث يقول: (سألت ابن الفارقي البغدادي مدرِّس المدرسة الغربية ببغداد وقلت له: أَكانت فاطمة صادقة ؟ قال: نعم. قلت: فَلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟ فتبسَّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادَّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه صادقة فيما تدَّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينةٍ وشهود). يُرجى التأمل في هذه الكلمات لما فيها من معانٍ ولولا أنَّ البحث لم يكن قائماً على التحليل التأريخي للخطبة وما يتعلق بذلك لبيَّنا بعض الحقائق الناصعة في كلمات القوم وما ضمَّته كتبهم في ذلك. ٢٨٤/١٦

المعاني العظيم التي تعبِّر فيها عن ثورتها المقدسة في الدفاع عن الإسلام ومبادئه..

ولقد كان من كلامها (عليها السلام) في مقطعٍ آخر من خطبتها الثانية قولها: ((وَيْحَهُم أنّى زَحْزَحوها عن رَواسي الرِّسالةِ، وقواعِدِ النبوّةِ والدّلالَةِ، ومَهبِطِ الوحيِ الأمين، والطَّبين بأمرِ الدُّنيا والدِّين، أَلا ذلك هو الخسران المبين، وما نَقَموا من أبي الحسن ؟ ! نَقَموا والله مِن نَكيرِ سيفِهِ، وَقِلَّةِ مُبالاتِه بِحَتْفِهِ، وشِدَّةِ وَطأتِهِ، ونَكالِ وَقْعته، وتَنَمُّرِهِ في ذاتِ الله عزّوَجَلَّ، والله لو تَكافُّوا عَن زَمانٍ [زمامٍ] نَبَذَه رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) لاعْتَلَقَهُ، ولَسار بِهِم سَيْراً سُجُحاً، لا يُكْلَمُ خِشاشُه، ولايكلُّ سائره، ولا يُتَعْتَعُ راكبهُ، ولأوردهم مَنْهَلاً نميراً فَضْفاضاً، تَطْفَحُ ضِفّتاه، ولا يَتَرَنَّقُ جانِباهُ، ولأصَدَرَهُم بِطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً .. استبدلوا الذُّنابى والله بالقوادِمِ، والعَجزَ بالكاهِل، فَرَغْماً لمَعاطِسِ قوم يحسبون أنّهُم يُحسِنون صُنْعاً، ألا إنّهم هُمُ المُفْسِدون وَلكن لا يَشْعُرونَ)). [1]

---

(١) أعلام الهداية ص١٩٥

إنَّ هذه الكلمات من الصديقة الطاهرة (عليها السلام) تؤكد على مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الأمة، وما قام به بعض المنحرفين عن الإسلام في دفعه عن المقام الإلهي الذي اختاره له، فقد ذكرته بصفات من أعظم الصفات التي تفتخر بها أي أمة أنْ يكون وليُّ أمرها بهذه الصفات لكونه وصياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفة الله في أرضه وليس لكونه زوجها، والتي من أهمها:

١- إنه أقربُ الناس وأعلمهم وأرشدهم التزاماً بالرسالة الإسلامية العظيمة.

٢- إنه الفطنُ الحاذقُ بأمور الناس ومعايشهم وما يحتاجون إليه في أمور الدين والدنيا.

٣- إنه أشجعُ الناس وأشدُّهم بأساً في ذات الله تعالى. [1]

إنَّ ذِكرها (عليها السلام) ما يتعلق بالوصي يكون من باب إقامة الحجة عليهم من خلال بيان فضائله ومقامه والتحذير من مخالفة ذلك وما يترتب عليه من عواقب وخيمة في الأمة قد تؤدي إلى انهيار البناء الإسلامي العظيم الذي أسسه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال

---

(١) إنَّ هذه الصفات التي عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) وغيرها قد اشتهرت بين الناس وأشارت الآيات المباركة والأحاديث الشريفة إلى مقامه ويمكن مراجعة كتب السيرة التي كتبت في ذلك.

دعوته الشريفة. وهذا هو الواقع الذي وصلت إليه تلك الأمة بعد مخالفتها لأمر الله تعالى، قال الشهرستاني (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) في "الملل والنحل": ((وأعظمُ خلافٍ في الأمةِ خلافُ الإمامةِ، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلامِ على قاعدةٍ دينيةٍ مثلما سُلَّ على الإمامةِ في كُلِّ زمانٍ)). [١] فهذا هو الأمر الذي حذَّرت من مخالفته في خطبتها، بل آل الأمر بعد ذلك لأنْ يُسلط أدعياء الأمة على أخيارها فينهار جوهر الرسالة والعقيدة الإسلامية وهذا ما كان فعلاً أيام الأمويين يوم تسلط معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وأمثالهما .. لذلك كان تحذيرها أشد تحذير، بل وصفت حال الأمة وما ستكون عليه من الأذى والقتل والتشريد في صورة من أعظم صور استقراء المستقبل، فقالت (عليها السلام): ((أَما لَعمري لقد لَقِحَتْ فَنَظِرَةٌ رَيْثما تُنْتِج ثم احتلِبوا طِلاعَ القَعْبِ دماً عبيطاً، وذُعافاً مُمْقِراً، هنالكَ يخسرُ المبطلونَ، ويعرفُ التالونَ غِبَّ ما سَنَّ الأولونَ)). [٢] وهذا ما كان في الأمة بعد يومها إلى يومنا من الانتهاكات العظيمة التي واجهتها الشريعة المقدسة من التحريف والجور والظلم وانهيار الوحدة الإسلامية التي ينادي بها

(١) ص ٢٥

(٢) أعلام الهداية ص١٩٤

القرآن والسنة الشريفة، حتى أصبحت تلك المبادىء العظيمة لجمع المسلمين مجرد شعارات جوفاء تردد على الألسن فقط.

إنَّ هذه الكلمات هي رسالة واضحة من الزهراء (عليها السلام) ودرس عقائدي عظيم تبين فيه حقيقة الالتزام بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) وعواقب التخلي عنهم، لذا ورد في كلمة لها قولها: ((فجعلَ اللهُ .. طاعتَنا نظاماً للملةِ، وإمامتَنا أماناً للفرقة)). وهذه الحقيقة قد أكدتها سيرتهم المباركة والأحاديث الشريفة التي وردت في حقهم.

– خامساً: المعاد

إنَّ الإيمان بالمعاد من أصول العقيدة الإسلامية المقدسة، بل من ثوابت دعوة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، وقد استعرض القرآن الكريم ذلك من خلال تلك الآيات المباركة فقال تعالى مؤكِّداً على المعاد في إجابة لاستنكار المشركين: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[1]، وقال تعالى:

(١) سورة الواقعة: الآيات ٤٧–٥٠

﴿ضَ رَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [١] وغيرها من الآيات المباركة.

وقد استعرض العلماء في مؤلفاته العقائدية ما يتعلق بهذا الأصل وكُلِّ ما يتعلق به مأسئلة وشبهات وشكوك وغيرها، قال العلامة "الحلي" (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م): ((اتفق المسلمون على إثبات المعاد البدني، ونازعهم الأوائل في ذلك، والدليل على ثبوته أنه ممكن والصادق أخبر بثبوته فوجب الجزم به، أما إمكانه ...)). [٢]

وقال الشيخ "المظفر": ((نعتقد إنَّ الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين ويعِّب العاصين، فالمعاد الجسماني –بالخصوص– ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي دلَّ صريح القرآن عليها)). [٣]

والزهراء (عليها السلام) قد أشارت في خطبتها إلى ذلك اليوم والاستعداد له، حيث قالت مخاطبة أبا بكر وأقرانه: ((فدونَكَها مخطومةً مرحولةً تلقاك يومَ حشرِكَ، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد

---

(١) سورة يس: الآيتان ٧٨-٧٩

(٢) منهاج اليقين في أصول الدين ص٤٩٢

(٣) عقائد الإمامية ص١٧٦ باب (عقيدتنا في البعث والمعاد)

(صلى الله عليه وآله)، والموعدُ القيامةُ، وعندَ الساعةِ يخسرُ المبطلونَ، ولا ينفعكُم إذ تندمونَ، ولكُلِّ نبأٌ مستقرٌّ، وسوفَ تعلمونَ مَنْ يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلُّ عليه عذابٌ مقيمٌ)). [1] إنها لكلمات عظيمة ترهب النفس من سماعها، حيث عظمة ذلك اليوم والموقف !!

هذه مجمل المعاني التي أكدت عليها فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطابها للقوم بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتداؤهم على الحق العام للأمة القائم بغصب الخلافة من وصي رسول الله، والحق الخاص لأهل بيته (عليهم السلام) بغصبهم فدكاً التي كانت خالصة لهم..

إنَّ الباحث من خلال ما تقدم من كلماتها (عليها السلام) تجلى له بوضوح وتأكيد الجانب العقائدي الذي تضمنته الخطبة المباركة، وحاولنا بإيجاز أنْ نسلط الضوء عليه من خلال هذه السطور المتواضعة وقراءتها قراءةً تأملية نتمنى أنْ تكون موفقةً، ونسأله تعالى أنْ يتقبلها بقبولٍ حسنٍ وينبتها نباتاً حسناً إنه سميع مجيب.

---

(١) أعلام الهداية ص ١٥٥

خاتمة وتوصية:

– إنَّ الباحث في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) يستقرأ بوضوح دورهم الكبير في الحفاظ على الشريعة المقدسة بكُلِّ ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية وقد تجلى ذلك في سيرتهم العطرة ..

– إنَّ للزهراء خطبتين عظيمتين فيهما من الآثار العقائدية والتربوية التي يجب علينا أنْ ندرسها دراسة منهجية تحليلية للفائدة منها في المناهج الدراسية المختلفة سواء الحوزوية أم الأكاديمية ..

– يرى الباحث في تلك الكلمات العظيمة الروح المتفانية في الدفاع عن الحقوق وهذا درسٌ عظيمٌ للأمة في أنْ تستمد من ذلك العطاء الخالد لأهل البيت (عليهم السلام) في حياتهم ..

– نرى قوة الدليل في الكلمات التي تستعملها الزهراء (عليها السلام) في المطالبة بالحقوق الخاصة والعامة دون الوجل من ذلك الموقف، وفي ذلك تكمن الشخصية الرسالية للمسلمين ..

ـ إنَّ في موقف الزهراء (عليها السلام) رسالةٌ عظيمة لنسائنا المسلمات بأنْ يَكُنَّ على مستوى هذا المنهج العظيم للصديقة الطاهرة في الدفاع عن الشريعة المقدسة دون الخداع بالدعوات الغربية التي تريد أنْ تسلب من المرأة كرامتها وعفافها ..

– يوصي الباحث بضرورة كبيرة في تضمين المناهج التعلمية في وزارة التربية والتعليم العالي ليتعرَّف الأجيال على التراث الخالد لأهل البيت (عليهم السلام) ..

– يتمنى الباحث أنْ تنطلق مسابقة سنوية في حفظ خطبة الزهراء (عليها السلام) ومعانيها لبث روح العقيدة في المجتمع وتعلم المجتمع اللغة العربية الفصحى والتي هي لغة القرآن الكريم ..

قائمة المصادر والمراجع

–القرآن الكريم.

١ – ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، (مط دار الكتب العربية الكبرى، مصر).

٢ – السجاد، الإمام علي (عليه السلام)، الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، (ط١، مدين، قم، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

٣ – الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (مط الاستقامة، مصر).

٤ – الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، تقديم وإعداد الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، ط١، مط الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٧م).

٥ – العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، (ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٦ – العلامة الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف، مناهج اليقين في أصول الدين، تح: مركز الدراسات والتحقيقات الإسلامية، (ط١، دار الإسوة، قم، ١٤١٥هـ).

٧– لجنة التأليف، أعلام الهداية (فاطمة الزهراء "عليها السلام")، مط ليلى، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٨– المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، تح: عبد الكريم الكرماني، (ط١، مؤسسة الرافد، بيروت، ٢٠١١م).

الفهرس

- مقدمة ٥
- التمهيد ٨
- الأصول العقائدية في خطبة الزهراء (عليها السلام) ١٠
- أولاً: التوحيد ١٠
- ثانياً: العدل ١٦
- ثالثاً: النبوة ١٩
- رابعاً: الإمامة ٢٧
- خامساً: المعاد ٣٤
- خاتمة وتوصية ٣٧
- قائمة المصادر والمراجع ٣٩
- الفهرس ٤١

أصول العقيدة الإسلامية في خطبة الزهراء (عليها السلام)

-قراءة تحليلية موجزة-

عماد الكاظمي

معالم الفكر / بيروت – حارة حريك مجاور مسجد الحسنين
العراق – الكاظمية المقدسة